

التذكير والتأنيث في اللغات السامية

الأستاذة: لطيفة عبّو

جامعة تلمسان

التذكير والتأنيث في اللغات السامية من أبرز الظواهر التي أولتها اللغة العربية عناية خاصة واهتماما كبيرا لما لها من قيمة كبيرة في ميدان البحث اللغوي ولدراسة هذا الظاهرة وتحديد خصائصها العالمية أو على الأقل تحديد سماتها المنتشرة انتشارا واسعا لابدّ من ربطها بمثلتها في اللغات السامية لتظهر قيمتها ومكانتها بجلاء ووضوح.

1- في اللغة العبرية: "من أهم اللهجات الكنعانية وأكثرها إنتاجا في الدين والآداب والتاريخ والفلسفة والعلوم، وكانت لها أهمية دينية كبيرة في البلاد المسيحية لأن جميع أسفار العهد القديم قد دونت بها، وعلى الرغم من تسميتها باللغة العربية فهي ليست لغة جميع العبريين بل لغة فرع واحد من فروعهم وهو فرع بني إسرائيل"⁽¹⁾.

وازدادت عناية اليهود باللغة العبرية منذ القرن التاسع عشر، فوسّعوا نطاق استعمالها في شتى الميادين العلمية والأدبية، وقد عمل العنصر اليهودي في أوروبا الشرقية وخاصة روسيا الوافد على فلسطين على بعث العبرية من مرقدّها لتكون لغة التخاطب والتعليم⁽²⁾.

والإسماء في اللغة ينقسم إلى قسمين من حيث الجنس: (مذكر) **לְבַיִם** (وأمؤنث) **לְבָיִת** ويكون الاسم مذكرا إذا دل على مذكر حقيقي مثل (يوسف) **יוֹסֵף** (أني) **אֲנִי** ان منتهيا بـ **אֵ** سيجول (*) وهي الباء المائلة مثل: (حقل) **שָׂדֵה** و(جرداء)، أو كان اسم شعب مثل: (مؤاب) **מוֹאָב** و(عرب)، أو كان اسم جبل أو نهر أو بحر مثل: **בָּאֵר** (سيناء) **סִינַי** (الأمم)، **גּוֹיִם** (الفردات) **יְחִיד** و(البحر الأحمر)، وأغلب الأسماء غير منتهية بـ **אֵ** **אֵל** و **אֵלֹהִים** وهذه من علامات التأنيث.

ويكون الاسم مؤنثا إذا دل على مؤنث حقيقي مثل: (أم) וְאִמִּי (امرأة) אוֹרָה اسم قطران: (مصر) מִצְרַיִם (دمشق) דַּמְשֵׁק (القاهرة) וְהַיְמָנִי (بيت المقدس) أو إذا كان من أعضاء الجسم المزوجة أو المتعددة مثل: (عين) עֵינִי (أذن) נֶיִךְ (سن)، وجميع الأسماء

للمنتهية بالعلامات الآتية: $\text{ܐܒܝܢܐܝܬܐ} ; \text{ܐܒܝܢܐܝܬܐ} ; \text{ܐܒܝܢܐܝܬܐ}$ بالإضافة إلى أسماء أخرى مؤنثة سماعا، وأسماء تذكر وتؤنث مثل: (الشمس) و(الروح)... كما هناك أسماء يختلف لفظها تماما عن تأنيثها مثل: (أب) (أم) (ابن)...⁽³⁾.

ونخلص من هذا كله أنّ الجنس في اللغة العبرية شبيه بالجنس في اللغة العربية وسنلمس ذلك من خلال المقارنة التي عقدها السامرائي بين كلمات مذكرة ومؤنثة بين العربية والعبرية مثل: "الجمل يطلق على المذكر والمؤنث في العربية، وقد سمع من قولهم: شربت لبن جملي و Gamal في العبرية.

و(البعير) في العربية ينصرف للمذكر والمؤنث في العبرية (بعير) مذكر، وكذلك (الكبش) مذكر في العربية وفي العبرية (كباش) مذكر، أمّا (الحمار) فمذكر في العربية والمؤنث (أتان) في العبرية (حمور) للمذكر و(آتون) للمؤنث (الضبع) مؤنث في العربية وضبعان مذكر وقد صرفوا (الضبع) للمذكر والمؤنث، في العبرية (ضبوع) لكلا الجنسين، (الليث) مذكر في العربية الفصيحة و(اللبؤة) مؤنث ومثله في العبرية (لايش) للمذكر و(لابياء) للمؤنث، ومن هذا العرض لهذه الطائفة من الأسماء يستخلص السامرائي أن التأنيث والتذكير مادة غير محدودة في اللغات السامية عموما وفي العربية والعبرية خصوصا وأنّ علامة التأنيث ليست واضحة كل الوضوح في طائفة كبيرة من الأسماء"⁽⁴⁾.

2- السريانية: "كان يسميها اليونان قديما لهجة مدينة أدسا (edessa) أو (أو هي) كما سماها السريان أنفسهم وسماها العرب (رها) نسبة إلى المدينة الواقعة في شمال (حاران) وتعد من أهم اللهجات الآرامية على الإطلاق وأغناها في الإنتاج الأدبي والعلمي والفلسفي، وظلت هذه اللغة محتفظة بوحدتها طول المدة التي كانت فيها الكنيسة السريانية محتفظة هي الأخرى بوحدتها منذ نشأتها إلى القرن الخامس الميلادي، إلى أن نشب الخلاف بين علماء السريان بصدد ازدواج طبيعة المسيح ووحدتها، فانقسمت الكنيسة السريانية إلى فريقين: فريق السريان الغربيون الخاضعون للإمبراطورية اليونانية الذين اعتنقوا مذهب "نستوريوس" القائل بازدواج طبيعة المسيح أي جامع بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية واشتهروا باسم "النساطرة" ومن آثار هذا الانقسام الديني أنه أدّى إلى انقسام أدبي ولغوي، واتجهت هذه اللغة وآدابها عند كل فريق من هذين الفريقين إلى وجهة تختلف عن وجهة الفريق الآخر وبذلك انقسمت اللغة السريانية إلى لهجتين: اللهجة البعقوبية واللهجة النسطورية"⁽⁵⁾.

"والأسماء في هذه اللغة مذكورة ومؤنثة، فالجمل gamla في السريانية يدل على المذكر والمؤنث، والبعير في السريانية (بعيرا) وهو مؤنث ويراد به مجموع الدواب العاملة، أمّا الحصان فاسمه (سوسا) للمذكر و(سوستا) للمؤنث فلقد أضيفت التاء مع الألف على الاسم المذكر، و(الكبش) (كبشا) للمذكر، والحمار (حمارا) للمذكر و(أتانا) للمؤنث وقد تنصرف حمارا للمذكر والمؤنث، كما صنع جمارتا للمؤنث بالتاء التأنيث تمييزا وتبنيها وجريا على المؤنثات الأخرى المولدة بعد الأصول القديمة، والضبع في السريانية (أبعى) للمؤنث وإلى جانب أسماء الحيوانات هناك أسماء لأعضاء الإنسان، فمثلا الكتف كتبأ وهي مؤنث في السريانية، و(الذراع) ذراعا، وهي مذكر أمّا السن فهي مؤنثة"⁽⁶⁾.

3- اللغات اليمنية القديمة: "سميت باللغات اليمنية القديمة نسبة إلى بلاد اليمن الواقعة جنوب الجزيرة العربية، واعتبرت من أقدم مواطن الساميين، أنشأ اليمنيون فيها حضارة راقية فقامت لهم عدّة ممالك قوية كان لها شأن كبير في التاريخ، يشهد على ذلك ما خلفته من آثار وما جاء في الكتب المقدسة، وما رواه قدامى المؤرخين عن سلطانها العظيم ومجدها المؤثل، وقد وصلت اللغات اليمنية القديمة للشعوب السامية عن طريق النقوش الكثيرة المدونة على الصخور والأعمدة والقبور والتماثيل والنقود وجدران الهياكل والمذابح"⁽⁷⁾.

"ويعرف الخط اليمني عند العرب بالخط المسند وهو مشتق من الرسم الكنعاني ويشبهه من عدّة وجوه، ولكن يمتاز عنه بجمال التنسيق والأشكال الهندسية المنظمة التي يتكون منها كثير من حروفه، عدد حروفه تسعة وعشرون ترمز إلى تسعة وعشرين صوتا ساكنا، أمّا أصوات المدّ طولها وقصيرها فلا يرمز هذا الرسم إلى شيء منها.

وتتكون اللغات اليمنية القديمة من عدّة لهجات هي المعينية والسبئية والحضرية والقتبانية، وكان لمجاورة اللغة العربية للغات اليمنية القديمة أثر كبير في الاحتكاك اللغوي جعل اللغتان تعيشان في صراع كبير استغرق أمدا طويلا، انتهى في مراحل الأخيرة من العصر الجاهلي بانتصار العربية على هذه اللغات"⁽⁸⁾.

"وورد كثير من أسماء الأعلام في كثير من النقوش المدونة على الصخور والأعمدة والقبور منها ما وردت مذكورة والبعض منها مفرد مثل: أزد، أوام، مرثد والبعض الآخر جاء مركبا مثل سَمِيع يعني ملك حرب وشعرم أوتر، والبعض الآخر سبق بحرف الذال المختصر من (ذو) وهي تعني في الأصل صاحب مثل: زهران، ذريدان، ذيزن، كما وردت أسماء مؤنثة سبقت بحرف (ذت) مثل: ذت بعدن، ذت غضران، ذت يني حسن، وهذه الأسماء المؤنثة كثيرا

ما جاءت مختومة بتاء مفتوحة مثل: حدثت تعني حادثة، محكشت تعني زوجة وأحياناً وردت أسماء مؤنثة مجردة من (ذت) مثل: هجر تعني مدينة، ومحفد تعني برج بالإضافة إلى ورود المثني المذكر والمؤنث مختومان بياء مثل: ثنتي صَفَحَتِي تعني صفحتان، وثني مَحْفُدي مَحْفُدان. وهناك من الأسماء المؤنثة التي لحقتها الميم مثل: عشرة الفم قطنتهم بمعنى عشرة آلاف شاة، لكن الأسماء المذكورة فلم تلحق بها الميم مثل: ثنى أسنى بمعنى إنسانان وعَشْري أويم بمعنى عشرين يوماً⁽⁹⁾.

4- **المصرية:** "عُرفت اللغة المصرية من خلال النقوش والكتابات والمخطوطات التي عثر عليها العلماء في عدة مناطق من مصر الخصبة وعلى ضفاف نيلها الذي وهبها حضارة وقوة فائقة قبل الميلاد بخمسة آلاف سنة ومن بين هذه النقوش تلك التي تمثل انتصار الملك (ميناء) على مملكة الشمال أو تلك التي ترمز إلى الثالوث المقدس في مصر الفرعونية وتجمع بين الآلهة (إزيس) و(أوزيريس) و(حورس) أو ذلك النقش الموجود على جدران معبد الدير البحري والذي يمثل سفينة تجارية مصرية تنقل البضائع والسلع. وتشارك المصرية القديمة مع اللغات السامية في استعمال الجذور الثلاثية للألفاظ واستخدام التاء للدلالة على التأنيث على الرغم من أن أصلها يعود إلى فصيلة اللغات الحامية"⁽¹⁰⁾.

"ونجد في هذه اللغة الأسماء الدالة على الشمس والقمر والكواكب والنجوم ملازمة للتذكير، أما السماء فهي مؤنثة لأنهم كانوا يهيئونها على شكل امرأة معنية فوق الأرض على هيئة قبة وهي المعبودة، (نوت)، وهي مؤنثة أيضاً في العربية"⁽¹¹⁾.

"وعن الكلمتين في العربية (ست) بمعنى سيدة و(الجبت) بمعنى صنم تقدم لنا اللغة المصرية القديمة تفسيراً عن جنسهما، فالمفرد المذكر في اللغة المصرية القديمة S بإضافة تاء التأنيث St بمعنى امرأة أو سيدة، وكذلك كلمة Gb في المصرية القديمة تعني اسم ربة الأرض، وكان لها تمثال يعبر عنها يعبد المصريون وفي العربية نجد الجبت بمعنى الصنم وهو كل ما عبد من دون الله والجبوت: الأرض والتراب"⁽¹²⁾.

"ولقد لاحظ محقق الكتاب "عبد المجيد هريدي" أن في اللغة المصرية القديمة العديد من الكلمات التي تنتهي بحرف ياء وهذا الحرف يعبر عن الياء وعن حركة المد القصيرة^(*) ولقد أشار "أحمد كمال" العالم الأثري المصري في كتابه الفرائد البهية في قواعد اللغة الهيروغليفيّة "أن الأسماء المنتهية بحرف ياء مؤنثة بالتاء أو بغيرها"⁽¹³⁾.

"وبالنسبة لتذكير وتأنيث الأسماء بالوضع والاصطلاح، فنجد في المصرية القديمة الأسماء التي تذكر هل الأسماء الدالة على أسماء المين والأقاليم المستنقعات والجزائر والمياه والبحار والأسماء الدالة على الشمس والقمر والكواكب والنجوم، وأسماء الأعياد والأيام والشهور وأسماء المعادن، وأسماء النار والحرارة والنور والظلام. أما الأسماء الملازمة للتأنيث فهي أسماء البلاد والمدن، وغالب الأسماء الدالة على السمات وجهاتها والأرباح ومهابها وأسماء السنين والساعات، وأسماء جسم الإنسان وأعضائه وأسماء الجموع"⁽¹⁴⁾.

5- **الحبشية:** "يرجع الباحثون أن الفضل في نشر اللسان السامي في بلاد الحبشة يرجع إلى عشائر سامية هاجرت إليها من جنوب بلاد العرب (اليمن) وامتزجت بسكان الحبشة الأصليين الذين كان معظمهم يتألف من أجناس حامية. ولم يعلم على وجه اليقين تاريخ هذه الهجرة، لكن من المؤكد أنها حدثت قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون وتبين شواهد كثيرة أن هذه الهجرة لم تحدث مرة واحدة، بل حدثت على دفعات متتالية، ولقد اشتبك لسان هؤلاء الساميين مع لغات السكان الأصليين في صراع طويل انتهى بانتصار اللسان السامي عليها في مناطق قليلة في بداية الأمر ثم أخذ يتسع شيئاً فشيئاً حتى بلغ ربع مساحة الحبشة واريتريا، وتعتبر هذه المناطق أكثر المناطق الحبشية كثافة وازدحاماً بالسكان إذ يبلغ عدد سكانها نحو نصف مجموع السكان في هذين الإقليمين، أما بقية سكانها قلا يزال معظمهم يتكلم لهجات حامية كوشية وقليل منهم يتكلم لهجات سودانية"⁽¹⁵⁾.

وتتقسم اللهجات الحبشية السامية إلى لهجات كثيرة أهمها:

اللهجة الجعزية (Guéze): "وهي مسماة باسم الشعب الجعزي الذي يعد من أقدم الشعوب السامية التي نزحت إلى الحبشة، ويطلق عليها أحياناً اسم اللغة الحبشية القديمة وأحياناً اسم اللغة الحبشية المجردة من كل وصف، وهي من أقدم اللهجات الحبشية السامية، وأقدم ما وصل من آثارها يرجع تاريخه إلى سنة 350 بعد الميلاد، وتعد اللغة الجعزية قريبة كل القرب من أختها العربية واليمنية ولكنها تمتاز عنها بميزات جوهرية كثيرة، في مظاهر الصوت والدلالة والمفردات والقواعد، ومما يلاحظ على هذه اللغة أنها تعدم التمييز بين المذكر والمؤنث في الأسماء"⁽¹⁶⁾.

وفي الأخير نخلص إلى أن الجنس في اللغات السامية ينقسم إلى مذكر ومؤنث، لكن هل عرفت الساميات النوع المحايد؟

"لقد عبّر عن غير العاقل (المحايد) بالنسبة للغة المصرية في الفترة الأسيرة الأولى إلى الثانية عشر بالمؤنث، بينما عبر عنه في العصور المتأخرة بالمذكر. أما بالنسبة للغة العبرية فقد وجدت المؤنثات بلا علامة وهي: سماء البلدان والمدن حيث عدت أمهات وراعايات للسكان والأسماء التي تشير إلى الأماكن المحددة مثل: أرض، عالم، الشمال، والجنوب وكذلك أسماء الآلات والأدوات (الأواني والأوعية) وأعضاء الجسم في الإنسان وفي الحيوان حيث نظر إليها على أنها توابع وملحقات، وكذلك أسماء القوى الطبيعية مثل الشمس (وقد تذكر) والنار (وقد تذكر) والضوء والحجر والرياح والدور، كلّ هذه الأسماء مقابلة لما يسمى في اللغات الأوروبية بالمحايد، لكنها عوملت في اللغة العبرية إما مذكورة وإما مؤنثة والأغلب عليها التأنيث"⁽¹⁷⁾. أما عند العرب فلقد أجمع النحاة القدماء على أن التذكير هو الأصل، يقول سيبويه: "الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد"⁽¹⁸⁾.

ويقول المبرد: "كل شيء كان مؤنثا من غير الحيوان فإنما تأنيثه للفظه ولك أن تذكره على معناه. ويقول أبو علي الفارسي: أصل الأسماء التذكير والتأنيث ثان له. وقد حاول من ألفوا في البيان وصنعة الكتابة أن يحصروا للكتاب قواعد تعين على معرفة المذكر والمؤنث ومنهم ابن التستري - فقالوا: وأما التأنيث والتذكير بالاصطلاح والوضع، فكان نجوم والجبّال والشجر وما أشبه ذلك مما ليس فيه ذكر ولا أنثى على الحقيقة، والأصل فيه التأنيث والتذكير داخل عليه، فإذا اجتمع المذكر والمؤنث منه غلبت التأنيث كما قال عز وجل: (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ)⁽¹⁹⁾، وإذا ما أتاك مالا يعرف أمذكر هو أم مؤنث وكان مما يستحق التذكير والتأنيث بالطبع فاكتبه بالتذكير فإنه الأصل، وإذا أتاك من ذلك ما تذكره وتأنثه بالوضع لا بالطبع فاكتبه على التأنيث لأنه أصله"⁽²⁰⁾.

"وقد قال القدماء - ومنهم ابن التستري وابن وهب - إنه ليس يوصل إلى علم المذكر والمؤنث من هذا الباب (المحايد) إلا بالسمع دون القياس، وإنما يؤخذ من أفواه العرب ويؤدّي كما حفظ"⁽²¹⁾.

والى جانب العرب حاول بعض المستشرقين أن يلتصق النوع المحايد في الفصيلة السامية فقالوا، بأنه يمكن أن نلاحظ بقاياها وآثاره في "ما" الموصولة غير أن آخرين منهم قد وصفوها على أنها في الأصل السامي مؤنث "من" لكن رأيت Wright وغيره من المستشرقين لاحظوا بأن الخيال السامي الخصيب قد أخضع في نهاية الأمر جميع الكلمات إلى أحد الأمرين: إما

التذكير وإما التأنيث، وأنه شخص الأشياء وجعل منها أناسا ثم تصور في بعض تأنيثا وفي البعض الآخر تذكيرا⁽²²⁾.

نخلص من هذا أن الساميات لم تنظر إلى الأسماء على أنها محايدة لأن هذا الأخير لأوجد له في الساميات بل قسمت العالم الحيواني والغير الحيواني إلى مذكر ومؤنث.

الهوامش:

- (1) فقه اللغة: علي عبد الواحد وايفي- دار نهضة مصر للطبع والنشر- ص45.
- (2) دروس اللغة العبرية: ربحي كمال، الدار النهضة العربية- بيروت- ص37- 51.
- (*) هي الكسرة في اللغة العبرية ويرمز لها بثلاثة نقاط تحت الحرف نحو ... أي (ل) بالإمالة في العربية.
- (3) دروس اللغة العبرية: ربحي كمال- ص100- 101.
- (4) مباحث لغوي: إبراهيم السامرائي- مطبعة الآداب في النجف الأشرف- 1971- ص136- 138.
- (5) فقه اللغة: عبد الواحد وايفي- ص60- 61.
- (6) مباحث لغوية: إبراهيم السامرائي- ص136- 138.
- (7) فقه اللغة: عبد الواحد وايفي- ص72.
- (8) المرجع نفسه- ص78- 79.
- (9) لهجات اليمن قديما وحديثا: أحمد حسين شرف الدين- مطبعة الجيلاوي- ص18.
- (10) التنثية في اللغة العربية: بن عيسى التجيني- جامعة أبي بكر بلقايد- 1998- ص63.
- (11) المذكر والمؤنث: لابن التستري الكاتب حققه أحمد عبد المجيد هريدي- مطبعة المندني- مصر- ط1- 1983- ص18.
- (12) المرجع نفسه- ص24.
- (*) قواعد اللغة المصرية: عبد المحسن بكير- ص15.
- (13) المذكر والمؤنث: ابن التستري- ص25.
- (14) المرجع نفسه- ص26- 27.
- (15) فقه اللغة: عبد الواحد وايفي،
- (16) المرجع نفسه، ص90- 92.
- (17) المذكر والمؤنث: ابن التستري، ص28- 29.

- (18) الكتاب: تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل بيروت، ص241.
- (19) سورة الأعراف، الآية: 54.
- (20) المذكر والمؤنث: ابن التستري، ص28 - 29.
- (21) المرجع نفسه، ص29.
- (22) دراسات عربية: عصام نور الدين، دار الطليعة، العدد 2، بيروت، 1988، ص103.